الفصل الخامس

مقارنة بين منهج ابن باديس وابن عثيمين في تنزيل الآيات على الواقع

بعد البحث في تنزيل الآيات على الواقع عند ابن باديس وابن عثيمين في الفصول السابقة، سيكون هذا الفصل لدراسة المقارنة بين منهجَيهما في تنزيل الآيات؛ لأُبيّن ما اتفقا فيه، وما برز[780] فيه كل منهما عن الآخر، وذلك من خلال عرض الأمثلة عند كل منهما، ثم مقابلة منهجيهما؛ ليتم استخراج النتائج التي هدفت إليها هذه الدراسة.

ومن خلال تتبعهما تبيّن أنّ ابن باديس وابن عثيمين يلتقيان في أمور، ويبرز كل منهما في أمور أخرى، وسيأتي بيان ذلك من خلال المقارنة بين منهجيهما في تنزيل الآيات على الواقع في نفس المجالات التي بُحثت في الفصلين السابقين، ابتداءً بنقاط الاتفاق، ثم النقاط التي برزت عند كلّ منهما، وذلك من خلال المباحث الآتية:

---

780. الكلام المذكور في المطالب التي تميّز بها كل مفسر عن الآخر، لا يعني أنّ هذا الأمر لايتميّز به المفسّر الآخر دائمًا؛ وإنما التفاضل في موضوعات محددة، وقياس مدى ظهور هذه الأمور بصورة أغلبية في ذلك المبحث.

المبحث الأول

منهج ابن باديس وابن عثيمين في تنزيل الآيات على الواقع في مجال العقيدة

عند النظر إلى تنزيل ابن باديس وابن عثيمين للآيات على الواقع في مجال العقيدة الإسلامية تبيّن أنّهما التقيا في أمور، وبرز كل منهما في أمور، وبيانها كما يلي:

المطلب الأول: نقاط الاتفاق

1- **المعرفة بالواقع والتصريح في وصفه:** فإنّ كلًا منهما كان مطّلعًا على ما يدور في واقعه من مشكلات في العقيدة؛ ووصفا ذلك عند تنزيلهما للآيات، فهذا ابن باديس يصف واقعه بأنّ عددًا كبيرًا من الناس يدعون الصالحين من الأحياء والأموات، يسألونهم حوائجهم، ويذهبون إلى الأضرحة، فيدعون من فيها، وينذرون لهم، ويستثيرون حميتهم، بأنهم خدامهم وأتباعهم[781].

وكذلك ابن عثيمين وصف حال بعض الناس في مجتمعه بأنهم فقدوا الغيرة الدينية، ولم يكن في قلوبهم الولاء والبراء، والبعض منهم لديه الولاء للجميع، وبيّن خطأ كل منهما[782].

2- **وضوح العبارة وسهولتها:** اتّصف منهجاهما بسهولة العبارات، والأسلوب الواضح البعيد عن التعقيد، مما يسهّل على القارئ فهم المراد مهما كان مستواه العلمي.

3- **التنزيل الصحيح للآية:** سلك ابن عثيمين في تنزيله للآيات على الواقع مسلكًا مشابهًا لما سلكه ابن باديس؛ فكلاهما كان تنزيله صحيحًا موافقًا للكتاب والسنة، -والتنزيل الصحيح:

---

[781]. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص. 119.

[782]. العثيمين. 1436هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة النمل)*. ص.337.

هو الذي استوفى فيه المفسّر ضوابط التنزيل، من غير ليّ لأعناق النصوص، ولا اتباع لهوى سابق، أو معتقد غير مراد بالآية–[783].

4- **التنزيل العكسي للآية:** استخدم كل منهما التنزيل العكسي للآية[784] إذا تبيّن لهما أنّ ما يحدث في واقعهما يخالف ما جاء فيها.

المطلب الثاني: الأمور البارزة في منهج ابن باديس

عند الموازنة بين تنزيل ابن باديس وابن عثيمين للآيات في مجال العقيدة تبيّن أنّ منهج ابن باديس برز فيما يلي:

1- **اهتمامه بمحاربة البدع؛** وتنزيل الآيات لمعالجة مظاهرها في المجتمع، وقد ذكرتُ نموذجَين في تنزيله لآيات العقيدة؛ منها قوله: أنّ من أبيَن المخالفة عن أمره وأقبحها الزيادة في العبادة التي نعبد الله بها، وإحداث مُحدثات على وجه العبادة[785]، وقارنتُ هذا التنزيل بتفسير ابن عثيمين للآية الكريمة، فلم أجد فيه مثل ذلك، ولم أجد في تفسيره غير موضع واحد لتنزيل الآيات على الواقع في محاربة البدع؛ رغم أنّه كتب رسالة مختصرة في أحكام البدع[786]، ولعلّ ذلك يرجع إلى تركيز ابن باديس في تفسيره على معالجة أكثر الأمراض انتشارًا في مجتمعه، ومنها البدع التي كثر انتشارها؛ بسبب تفشّي الجهل في ظل الاستعمار الفرنسي.

---

783. الرشيدي. 2020م. منهج الطريفي في تنزيل الآيات على الواقع من خلال كتابه "التفسير والبيان لأحكام القرآن" (رسالة ماجستير). ص.134.

784. راجع الفصل الثاني من هذا البحث.

785. انظر: ص. 98- 100 من هذا البحث.

786. رسالته: الإبداع في بيان كمال الشرع وخطر الابتداع، بيّن فيها خطر الابتداع، ثم بيّن معنى البدعة الحسنة، وختمها بنصيحة لمن استحسن شيئًا من البدع.

2- **التفصيل والإطالة إذا اقتضى الأمر؛** فقد أطال في تنزيل قول الله ﷻ: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[787]، فبيّن أنواع العبادات، وكيف يكون تطبيقها عمليًا، وذكر المخالفات التي تقع فيها، وخاصة موضوع الذلّ والخضوع والخنوع، وكأنه يشير إلى ما كان في زمانه من خضوع العامة لشيوخ الصوفية، فاغتنم فرصة كتابته لتفسير الآية في بيان بطلان ما يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة، وكتب رسالة سمّاها: (جواب سؤال عن سوء مقال) ردّ فيها على أحمد بن عليوه[788]صاحب الطريقة العليوية الذي كتب أبياتًا تجرّأ فيها على مقام النبوة.

3- **التقسيم المنهجي والترتيب والتنظيم؛** كان ابن باديس يضع عناوين جانبية قبل تنزيل الآية، ينادي فيها بالعمل بما جاء في الآية، ومن هذه العناوين: (تطبيق وتحاكم- إرشاد واستنهاض- توصية- سلوك- اهتداء- تنزيل- تحذير- تعليم- ترغيب وترهيب- موعظة وإرشاد- امتثال ورجاء- تبصير وتحذير)[789]، مما يجعل القارئ لها يشعر بأنّه صانع للأجيال من خلال القرآن، وبذلك يكون قد جدّد الطريقة القديمة في التفسير مُحافظًا على أصوله وقواعده، وقد تفوّق على ابن عثيمين في هذا الجانب؛ ويرجع السبب في ذلك: أنه كتب تفسيره لينشره في مجلة الشهاب، فكانت كتابة منتظمة، في حين أنّ تفسير ابن عثيمين كان عبارة عن دروس يُلقيها مشافهة لطلابه، وهم يقومون بتسجيلها ثم تفريغها، ولا شك أنّ الكتابة تختلف عن الإلقاء.

4- **تجديد منهج التفسير التقليدي؛** وذلك بأسلوب النقد البنّاء، الذي "يندرج ضمن سلسلة

---

787. القرآن. الإسراء 17: 23

788. هو أحمد بن مصطفى ابن أحمد المستغانمي، الشهير بالعلوي وبابن عليوة، متصوف، من أهل مستغانم وله زاوية فيها، عُرف بعدائه الصريح للحركة الإصلاحية الإسلامية، بقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وُلد عام 1874 وتوفي عام 1934. انظر: نويهض. عادل. 1980. *معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر*. ط.2. ص. 367.

789. انظر: ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص.143، 168، 155، 222، 235، 336، 350.

الدعوات الإصلاحية المشروعة التي دعت إليها الشريعة الإسلامية، وأمرت بتطبيقها في المجتمع الإسلامي"[790]، فقد انتقد طريقة المتكلمين، وحثّ على الرجوع إلى القرآن، فقال: "بسط القرآن عقائد الإيمان كلها بأدلتها العقلية القريبة القاطعة فهجرناها، وقلنا: تلك أدلة سمعية لا تحصل اليقين، وأخذنا في الطرائق الكلامية المعقّدة، وإشكالاتها المتعددة، واصطلاحاتها المحدثة، مما يصعب أمره على الطلبة فضلاً عن العامة"[791].

المطلب الثالث: الأمور البارزة في منهج ابن عثيمين

1- **الشدة في الردّ على من خالف الآية إذا اقتضى الأمر**؛ كما جاء في تنزيله لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[792]؛ حيث أنكر على كل مَن لم يحكم بما أنزل الله، وسمّى من وافقهم على ذلك من العلماء بعلماء الدولة؛ الذين يرون ما تريده الدولة[793]، ولم أجد مثل هذا في تنزيل ابن باديس للآيات؛ ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى ما كان يعيشه الشعب الجزائري من اضطهاد في ظل الاستعمار الفرنسي في كل المجالات، ومنها مجال التعليم، فقد اضطهد طلبة العلم وأساتذته بشتى أنواع الاضطهاد والتنكيل، وقام بتخريب مؤسساته ومعاهده ومراكزه ومكتباته في جميع مناطق البلاد[794]، ويصعب على ابن باديس أن يكتب كما كتب ابن عثيمين الذي كان يعيش في ظروف مستقرة،

---

[790]. مطاريد. رمضان محمد علي. 2018. النقد وتأثيره في المجتمع الإسلامي. *مجلة وحدة الأمة*. الهند: الجامعة الإسلامية دار العلوم وقف ديوبند. عدد (10). يونيو. ص.62.

[791]. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص.173.

[792]. القرآن. المائدة 5: 44.

[793]. العثيمين. 1435هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة المائدة)*. ج.1. ص.331-332.

[794]. رابح. تركي. 1984. جهود الجزائر في تعريب العلم العام والتقني. *مجلة الفيصل*. المملكة العربية السعودية: دار الفيصل الثقافية. عدد (87). يونيو. ص.42.

تسمح له أن يتكلم بقوّة في بعض الجوانب.

2- **المبالغة في وصف الواقع أحيانًا**؛ فعند ذكر قضية الولاء والبراء نهى عن التعاطف مع الكفار؛ لأن سبب هذا التعاطف معهم في رأيه هو فقدان الغيرة الدينية، فبعض الناس فقد الولاء والبراء، وبعضهم فقد البراء فقط، والكثير منهم لا يُبغِضون أحدًا؛ بل عندهم الولاء للجميع[795].

فما ذكره ابن عثيمين فيه شيء من المبالغة؛ فالكثير من المسلمين يبغضون الكفار وإن كانوا يتعاملون معهم بالحسنى، وهذه المعاملة لم يكن سببها فقدان الغيرة الدينية؛ بل هي اقتداء بالنبي ﷺ الذي عاملهم بالحسنى، فعامل المسالمين منهم بالبر والإحسان، وقبل هداياهم، وعاد مريضهم، وخالطهم وصبر على أذاهم[796].

---

795. العثيمين. 1436هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة النمل)*. المملكة العربية السعودية: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية. ص. 336، 337.

796. الطريقي. عبد الله إبراهيم. 2007. التعامل مع غير المسلمين أصول معاملتهم واستعمالهم. *رسالة دكتوراه*. الرياض: دار الفضيلة. ص.11- 37.

المبحث الثاني

منهج ابن باديس وابن عثيمين في تنزيل الآيات على الواقع في مجال الدعوة

عند وصف منهج ابن باديس وابن عثيمين في تنزيل الآيات على الواقع في مجال الدعوة على وجه المقارنة، فإنه يمكن القول بأنهما التقيا في نقاط، وبرز كل منهما في نقاط أخرى، وبيان ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: نقاط الاتفاق

1- **الاهتمام بأمر الدعوة:** فقد اهتم كل منهما في تنزيل الآيات المتعلقة بالدعوة إلى الله على الواقع، ومن مظاهر هذا الاهتمام أنهما بيّنا أنّ الدعوة إلى الله مسؤولية كل مسلم، وذكرا أساليب الدعوة إلى الله، وصفات الداعية، ونصائح للدعاة[797]؛ وهذا الاهتمام نابع من إبراء الذمة أمام الله ﷻ، ولتعليم الناس أمور دينهم، والقيام بواجب التناصح بين المسلمين.

2- **الاستشهاد بالسنة القولية والفعلية:** فعند تنزيل ابن باديس لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[798] حذّر الدعاة من الخصام والجدال واستشهد بقول النبي ﷺ: «إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ»[799]،

---

[797]. انظر: ص.94- 103، ص.170- 180 من هذا البحث.

[798]. القرآن. النحل 16: 125.

[799]. البخاري. 1422هـ. *صحيح البخاري*. كتاب: تفسير القرآن. باب: وهو ألد الخصام. ج.6. ص.28. حديث رقم: 4523.، مسلم. *صحيح مسلم*. كتاب العلم. باب في الألد الخصم. ج 4. ص 2054. رقم الحديث: 2668.

وعندما نزّل قول الله ﷻ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾[800] على واقع الدعاة؛ نبّههم بالبدء بأقرب الناس لهم، ثم مَن بعدهم على التدريج، واستشهد على ذلك بفعل النبي ﷺ فعندما نزلت هذه الآية صعد إلى الصفا فنادى بطون قريش حتى نادى العباس عمه، وصفية عمته، وفاطمة ابنته، وقال لهم: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا – اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»[801].

وقد سلك ابن عثيمين نفس المسلك؛ فاستشهد بقول النبي ﷺ «الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»[802]؛ وذلك عند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠﴾[803]، حيث خاطب الدعاة بأن تكون دعوتهم على علم وبصيرة؛ لأنهم ورثة الأنبياء، وذكر حديث جبريل عليه السلام عندما جاء إلى النبي ﷺ يسأله عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وأماراتها؛ فقال النبي ﷺ: «فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[804]، فاستدلّ به على تعليم الدعاة أسلوبًا كأسلوب جبريل مع النبي ﷺ؛ حيث جعله معلّمًا وهو يسأل، فهذه طريقة مناسبة للدعوة.

---

800. القرآن. الشعراء 26: 214.

801. البخاري. 1422هـ. *صحيح البخاري*. كتاب تفسير القرآن. باب ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ [الشعراء: 214- 215] أَلِنْ جانبك. ج.6. ص. 111. رقم الحديث: 4771، مسلم. *صحيح مسلم*. كتاب الإيمان. باب في قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: 214]. ج 1. ص 192. رقم الحديث: 206.

802. أبو داود. د. ت. *سنن أبي داود*. كتاب العلم. باب الحث على طلب العلم. ج.3. ص.317. رقم الحديث: 3641. والترمذي. 1998م. *سنن الترمذي*. كتاب أبواب العلم. باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة. ج.4. ص.346. رقم الحديث: 2682. صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير. رقم الحديث: 6297.

803. القرآن. يس 36: 20.

804. مسلم. د. ت. *صحيح مسلم*. كتاب الإيمان. باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامات الساعة. ج.1. ص.36. رقم الحديث 8.، وهو عند البخاري مختصراً مع تقديم وتأخير، كتاب الإيمان. باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان. ج 1. ص 19. رقم الحديث: 50.

المطلب الثاني: الأمور البارزة في منهج ابن باديس

1- **تصريحه بحال مجتمعه؛** عندما بيّن ابن باديس حاجتهم الماسّة إلى الدعاة، وما بلغ إليه حالهم من الجهل بحقائق الدين، والجمود في فهمه، والإعراض عن العمل بتعاليمه، والفتور في العمل، دعا أهل الدعوة إلى الله –وخاصةً المعلمين– أن يقاوموا ذلك الجهل والإعراض والفتور، ببيان الحقائق العلمية بأدلتها، والعقائد ببراهينها، والأخلاق بمحاسنها[805]. ولعلّ السبب في هذا التصريح يرجع إلى ما كانت تعيشه الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي الذي حارب العلم وساهم في نشر الجهل والضلال[806]، بينما كان الوضع مختلفًا في عصر ابن عثيمين؛ فقد شهدت المملكة العربية السعودية تقدّمًا ملحوظًا في العلم في تلك الفترة[807].

2- **إلمامه وإثراؤه للجانب الدعوي؛** فتحدّث عن أساليب الدعوة، وصفات الداعية، باستفاضة، وذلك عند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[808] فكتب في تنزيلها أكثر من عشر صفحات[809]؛ وقد قارنت هذا التنزيل بتنزيل ابن عثيمين فلم أجد فيه هذا التفصيل الذي ذكره ابن باديس، ولعلّ السبب يعود إلى ما ذكرته في النقطة السابقة من حاجة عصره الماسّة إلى الجانب الدعوي؛ حيث تسبّب الاستعمار الفرنسي بنشر الجهل في المجتمع الجزائري، فأدرك ابن باديس ومن معه

---

805. المرجع نفسه. ص.321.

806. انظر: الحالة الثقافية في عصر ابن باديس.

807. انظر: الحالة الثقافية في عصر ابن عثيمين.

808. القرآن. النحل 16: 125.

809. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص. 318- 327.

في جمعية العلماء المسلمين هذا الخطر، وقاموا بواجب الدعوة والتعليم والإصلاح، ورأى ابن باديس أنّ الوسيلة الوحيدة لإنقاذ أمته مما حاق بها هي إحياء مقوماتها التي حاول الاستعمار إماتتها، ومن أهمها الدين الإسلامي[810]، فقام بواجب الدعوة إلى الله، وجعل لها جلّ اهتمامه.

3- **استخدامه لأسلوب الإقناع العقلي**؛ وذلك عند تنزيله لقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾[811]، بيّن لهم أنه لو قام كل واحد من المجتمع بإرشاد أهله وأقرب الناس إليه، فإنّ الخير سينتشر في الجميع؛ لأنّ الأمة تتركب من الأُسر؛ فعندما يهتم كل واحد بصلاح أسرته ترتقي الأمة كلها بارتقاء أُسرها، وعندما يقصد الداعية بخدمة أسرته خدمة أمته يُثاب ثواب خادم الجميع: أسرته بالفعل، وأمته بالقصد، وكل هذا مما يثاب المرء شرعًا عليه[812]. وهذا أسلوب يدلّ على نجاح الداعية؛ لأنّ النفوس نشأت على التقيّد بما اعتادت عليه، فمن حاول صرفها عن ذلك ولم يسهّل صعوبة التكليف بالإقناع والرفق واللين، فإنّ دعوته أجدر بالرفض من القبول[813].

المطلب الثالث: الأمور البارزة في منهج ابن عثيمين

1- **ذكر نماذج من الواقع**: ذكر ابن عثيمين نموذجًا لبعض أهل العلم ممن يحمل همّ الدعوة فيصطحب معه كتابًا، ليقرأه على الحاضرين، إذا عَلِم من الناس قبول ذلك؛ بأن يكون قد

---

810. فلوسي. 2006م. *الإمام عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده*. ص.88.

811. القرآن. الشعراء 26: 214.

812. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص.297.

813. محفوظ. علي. 1979. *هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة*. القاهرة: دار الاعتصام. ط.9. ص.119.

عوَّدهم عليه، أو ينوّع لهم في الأسلوب كأن يورد سؤالًا ثم يجيب عليه[814].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

[814] العثيمين. 1431هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة البقرة)*. المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع. ط.2. ج.2. ص. 170-171.

المبحث الثالث

منهج ابن باديس وابن عثيمين في تنزيل الآيات على الواقع في مجال الآداب والأخلاق

عند المقارنة بين منهج ابن باديس وابن عثيمين في تنزيل الآيات على الواقع في الآداب والأخلاق، تبيّن أنهما التقيا في أمور، وبرز كل منهما في أمور، وبيان في المطالب التالية:

المطلب الأول: نقاط الاتفاق

1- **الاهتمام بقضايا الأخلاق:** فقد ذكر كل منهما الصبر والتواضع، وحذّرا من الجدال ومن الخيانة، إلى جانب الأخلاق الأخرى، وجعل ابن باديس الأخلاق أصلًا لكمال الإنسان، وذلك بقوله: "العلم الصحيح، والخلق المتين، هما الأصلان اللذان ينبني عليهما كمال الإنسان"[815]، أما ابن عثيمين فقد جعلها الرزق والحظ العظيم؛ فقال: "ليس الحظ العظيم أنّ الإنسان يزداد درهمًا ودينارًا، الأخلاق هي كل شيء، سواء مع الله، أو مع عباد الله"[816].

2- **الاستشهاد بالقرآن:** فقد استشهد ابن باديس بقوله تعالى: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾[817] عندما نبّه على خطر الخيانة ونزّل قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾[818] على الواقع، واستشهد ابن

---

[815]. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص99.

[816]. العثيمين. 1437هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة فصلت)*. ص. 190.

[817]. القرآن. غافر40: 19.

[818]. القرآن. الحج 22: 38.

عثيمين بقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[819] عند حديثه عن النفاق وخصاله، ومنها تضييع الأمانة، وذلك عند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٣﴾[820].

3- **الاستشهاد بالسنة النبوية:** استشهد كل منهما بأحاديث النبي صلى الله وعليه وسلم، وكلها أحاديث صحيحة أغلبها من صحيحي البخاري ومسلم، والاستشهاد بها كان فيما يتعلق بالموضوع، وكان ابن باديس يستشهد بالحديث كاملًا، كما في حديث: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ»[821]، وذلك عند تنزيله لقوله تعالى: ﴿۞وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ٢٣ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾[822]، أما ابن عثيمين فقد كان يُكثر من الاستشهاد بالأحاديث، ففي مجال الأخلاق مثلًا استشهد ابن باديس بحديثين، بينما استشهد ابن عثيمين بخمسة أحاديث، وكان أحيانًا يستشهد بالحديث كاملًا، وأحيانًا بجزء

---

819. القرآن. التحريم 66: 6.

820. القرآن. الأحزاب 33: 73.

821. البخاري. 1422هـ. *صحيح البخاري*. كتاب: الأدب. باب: لا يسب الرجل والديه. ج. 8: 3. رقم الحديث: 5973، مسلم. *صحيح مسلم*. كتاب الإيمان. باب بيان الكبائر وأكبرها. ج 1. ص 92. رقم الحديث: 90.

822. القرآن. الإسراء 17: 23- 24.

منه –بحسب الموضوع– مثل قوله ﷺ: «وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[823]، وقوله: «وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[824]، واستشهد كذلك بالحديث القدسي: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[825].

المطلب الثاني: الأمور البارزة في منهج ابن باديس

1- **التنزيل غير المباشر أو التلميح**، فقال عند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨﴾[826] أنّ أعظم الخيانة بعد الكفر خيانة العامة؛ لأنّ الذنب يتضاعف بزيادة أثره وانتشار ضرره، ولهذا نجد الوعيد الشديد فيمن ولي أمرًا من أمور المسلمين فغشّهم ولم ينصح لهم، فعلى المسلم أن يحذر من الخيانة صغيرها وكبيرها، وخصوصًا ما كان متصلًا بالناس منها، ويتنبّه من أقل كلمة وأدنى إشارة تُوقِعه في خطرها[827].

ولعلّ السبب في اتخاذه هذا النوع من التنزيل يعود إلى وجود الاستعمار الفرنسي في الجزائر، والذي لم يصرّح به ابن باديس في تفسيره على الإطلاق؛ خوفًا من وقوفهم في طريق دعوته وإصلاحه، ولم أجد هذا التلميح عند ابن عثيمين الذي كان عصره يختلف تمامًا عن عصر ابن باديس من ناحية الاستقرار والحرية.

2- **بيان التطبيق العملي للآية**؛ فقد ذكر ابن باديس التطبيق العملي لآية بر الوالدين ضمن نقاط

---

[823]. البخاري. 1422هـ. *صحيح البخاري*. كتاب الإيمان. باب إطعام الطعام من الإسلام. ج.1. ص.12. رقم الحديث: 12، مسلم. *صحيح مسلم*. كتاب الإيمان. باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل. ج 1. ص 65. رقم الحديث: 39.

[824]. البخاري. 1422هـ. *صحيح البخاري*. كتاب الجمعة. باب الجمعة في القرى والمدن. ج.2. ص. 5. رقم الحديث: 893.، مسلم. *صحيح مسلم*. كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، ج 3، ص 1458، رقم الحديث: 1829.

[825]. مسلم. د. ت. *صحيح مسلم*. كتاب الزهد والرقائق. باب من أشرك في عمله غير الله. ج.4. ص. 2289. رقم الحديث: 2985.

[826]. القرآن. الحج 22: 38.

[827]. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص. 352.

مرتّبة، ثم فصّلها، منها: التحفّظ من كل ما يجلب لهما سوءًا من غيرنا، والدعاء والاستغفار لهما بعد موتهما، وإكرام صديقهما وصلة رحمهما، وغيرها[828]، وهذا يُضفي على تنزيله طابع التنظيم والترتيب الذي تميّز به.

3- **بيان الآثار المترتبة على العمل بالآية**؛ فعند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾[829] ذكر النتائج التي تترتب على الردّ على الجاهل بالقول السلام، فقال: "فعلى المؤمن أن يكون حاضر البال بهذه الآية عندما تسوق إليه الأقدار جاهلًا، فيخاطبه بما لا يرضيه حتى يسلم من شره، ويكسر من شرته، فيسلم له عرضه ومروءته ودينه، ويسلم ذلك الجاهل أيضا من اللجاج في الشر والتمادي فيه، فيكون المؤمن بقوله السلام، وتأدبه بأدب القرآن قد حصل السلامة للجميع"[830].

وبيان الأثر المترتب على العمل فيه حثّ وتشجيع على تطبيق الآية والعمل بما جاء فيها.

المطلب الثالث: الأمور البارزة في منهج ابن عثيمين

1- **مراعاته للسياق القرآني**، وهي من قواعد التفسير المهمة؛ وذلك عند تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧﴾[831]، فبيّن أنّ الخصومة بالباطل مذمومة، ووجه ذلك أنّ هذه الآية سِيقت في مقام الذم لا مساق المدح[832]. وهذا موافق

---

828. راجع ص.110 من هذا البحث.

829. القرآن. الفرقان 25: 63.

830. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص.197.

831. القرآن. يس 36: 77.

832. العثيمين. 1426هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة يس)*. ص.290-291.

لما ذكره السيوطي أنّ على المفسّر "مراعاة التأليف والغرض الذي سيق له الكلام"[833].

2- **التصريح بحال المجتمع وما فيه من أخلاق سيئة؛** مثل قوله: "والآن لو نظرت في واقع المسلمين اليوم لوجدت كثيرًا منهم إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا اؤتمن خان"[834]، وضرب أمثلة من مجتمعه لما صرّح به[835]، والتصريح بحال الواقع كان كثيرًا عند ابن عثيمين مقارنة بابن باديس.

3- **استخدامه لأسلوب التعليل في الإقناع؛** فكان يوضّح ويعلّل رغبة في الوصول إلى إقناع المستمع أو القارئ إلى العمل بما ذكره من تنزيل في الآية؛ كما فعل عند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾[836]، فبيّن لمن لا يستطيع الصبر من الناس، بأنه عبدٌ لله، والعبد خاضع لفعل السيد، والله ﷻ يفعل بعبده ما يشاء، كما يفعل في جميع مخلوقاته ما يشاء، فكذلك العبد خَلْق من المخلوقات يفعل الله به ما يشاء، لذلك عليه الصبر عند أيّ ضراء تصيبه[837].

4- **التقسيم المنهجي العلمي للآية عند تنزيله لبعض الآيات،** كما جاء في تنزيله لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧﴾[838]، حيث قسّم

---

833. السيوطي. عبد الرحمن بن أبي بكر. 1974م. الإتقان في علوم القرآن. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج.4. ص.227.

834. العثيمين. 1436هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة الأحزاب)*. ص. 539.

835. انظر ص. 189. من هذا البحث.

836. القرآن. البقرة 2: 153.

837. العثيمين. 1433هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة الأنعام)*. ص. 223.

838. القرآن. يس 36: 77.

الجدال إلى ثلاثة أقسام: جدال محمود، وجدال مذموم، وجدال يدور بين الأول والثاني، ثم بيّن الحكم لكل قسم[839]، وهذا التقسيم يجده القارئ أيضًا في تفسير ابن باديس الذي اتسم بالترتيب والتنظيم.

[839]. انظر: ص.186 من هذا البحث.

المبحث الرابع

منهج ابن باديس وابن عثيمين في تنزيل الآيات على الواقع في مجال تدبر القرآن

في ضوء الموازنة بين منهج ابن باديس وابن عثيمين في تنزيل الآيات على الواقع في تدبر القرآن اتّضح أنهما يتفقان في نقاط، ويبرز كل منهما في نقاط أخرى، وبيان ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: نقاط الاتفاق

1- **الاهتمام بتدبر القرآن:** فعند تنزيل ابن باديس لقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾[840]، حثّ على الإقبال على القرآن وتدبره وعلى استماعه وتفهّمه، والتزام ذلك حتى يصير عادة وملكة، وسيرى المرء فضل الله وإقباله عليه ما يُدنيه ويُعليه، ويعود بالخير الجزيل عليه[841]، ودعا ابن عثيمين كذلك إلى تدبر القرآن عند تنزيله لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٥﴾[842]، فقال: "ولهذا أنا أدعوكم ونفسي إلى أن يتأمل الإنسان دائمًا في القرآن ويتدبر؛ لئلا يكون أميًا"[843].

2- **الحث على قراءة كتب التفسير:** دعا ابن باديس الناس إلى الرجوع إلى كتب التفسير؛ لمعرفة

---

840. القرآن. الفرقان 25: 32.

841. العثيمين. 1433هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة الأنعام)*. ص. 235.

842. القرآن. الفرقان 25: 5.

843. العثيمين. 1436هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة الفرقان)*. ص.38.

معاني القرآن، وفهمه والعمل به، وذلك عند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾[844] وانتقد الذين هجروا تفسير القرآن، ولم يكن لهم حظّ منه[845]، وكذلك ابن عثيمين فقد حثّ على قراءة كتب التفسير، وانتقاء الكتب الموثوقة منها؛ التي لم يعرف أصحابها بالانحراف[846]، ولعله أراد بذلك أصحاب الاتجاهات المنحرفة في التفسير؛ كالباطنية، والمعتزلة، والصوفية[847].

3- **التنزيل العكسي للآية:** عندما رأى ابن باديس أنّ الشعب الجزائري يعيش في ظل الاستعمار الفرنسي الذي نتج عنه تشريع قوانين وضعية، واتخذ حكامًا يحكمون بها، [848] نزّل قول الله ﷻ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾[849] على ذلك الواقع[850]؛ وهذا من قبيل التنزيل العكسي -الذي يكون الواقع مخالفًا لما جاء في الآية-، وعند المقارنة بينه وبين ابن عثيمين نجد أنه سلك نفس المسلك؛ فنزّل قول الله ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾[851]، على واقعه الذي أشار إلى تأخّرهم وهوانهم بسبب

---

844. القرآن. الفرقان 25: 30.

845. انظر: ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص.174.

846. العثيمين. 1436هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة الزخرف)*. ص.20.

847. للمزيد من الفائدة راجع كتاب الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها. للدكتور محمد حسين الذهبي.

848. راجع الحالة السياسية ص.32- 33.

849. القرآن. الفرقان 25: 1.

850. انظر ص 115 من هذا البحث.

851. القرآن. البروج 85: 21- 22.

تركهم لما به عزتهم وكرامتهم وهو القرآن الكريم[852]، وهذا تنزيل عكسي للآية الذي خالف الواقع ما جاء فيها.

4- **عرض المشكلة:** من المهم أن يعرض المعالِج المشكلة للمخاطَبين؛ حتى يكون الطرف الآخر على دراية بها، وبالتالي يتقبل الحلّ لها، وعند الرجوع إلى منهج ابن باديس يتبيّن أنه كان يعرض المشكلة أولًا، مثل قوله: أنّ قلوبنا معرضة للوسواس والشكوك، والذي يثبتها ويربطها باليقين هو القرآن الكريم، وقد ذهبت جماعة مع تشكيكات الفلاسفة، ومماحكات المتكلمين ومناقضاتهم، فما زادهم ذلك إلّا شكًا، وازدادت قلوبهم مرضًا[853]، ومنهج ابن عثيمين في عرض المشكلة لا يختلف عن ابن باديس؛ ففي مجال تدبر القرآن مثلًا صرّح بأنّ كثيرًا من الناس لا ينتبهون للوقف عند قراءتهم للقرآن[854]، وأنّ كثيرًا من الناس يشكون قسوة قلوبهم اليوم[855].

5- **ذكر النتائج المترتبة على تطبيق الآية:** عند تنزيل ابن باديس لقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾[856] ذكر النتائج المترتبة على تطبيق الآية فقال: "فأقبل- يا أخي- على القرآن: على استماعه وعلى تفهمه، والزم ذلك حتى يصير عادة لك وملكة فيك، ترى من فضل الله

---

852. انظر ص193 من هذا البحث.

853. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص. 179.

854. العثيمين. 1433هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة الأنعام)*. ص.47.

855. العثيمين. 1436هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة الزخرف)*. ص. 13-14.

856. القرآن. الفرقان 25: 32.

وإقباله عليه ما يُدنيك- إن شاء الله- ويُعليك، ويعود بالخير الجزيل عليك"[857]، وعند المقارنة بينه وبين ابن عثيمين نجد أنه سار على نفس المنهج؛ فقد ذكر النتائج المترتبة على تمسك المسلمين بالقرآن فقال: ومن "تحمل هذا القرآن فحمله وقام بواجبه من تلاوته حق تلاوته، فإنه سيكون لهم المجد والعزة والرفعة"[858]، وذلك عند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾[859].

6- **النصح والإرشاد بعد التنزيل:** كان من منهج ابن باديس كتابة إرشاد ونصيحة -في بعض الأحيان- بعد التنزيل، فعند تنزيله لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ۝٣٢﴾[860] نزّلها على الواقع، ثم نصح الناس باستماع القرآن وتفهمه، ولزوم ذلك حتى يصير عادة لهم وملكة فيهم، وسيجدون أثر ذلك في حياتهم[861].

وعند مقارنته بابن عثيمين يظهر أنه سلك منهجه؛ فكان يختم التنزيل أحيانًا بنصيحة وإرشاد؛ مثل قوله: "لذلك أحثكم -أيها الإخوة- على تعلم معنى القرآن الكريم، فاقرؤوا كتب التفسير الموثوقة، واحذروا الكتب التي لا يُعرف من ألّفها أو التي عُرِف من ألّفها بأنه منحرف، أو ما أشبه ذلك؛ لأنّ من المفسرين مَن حرّف القرآن ونقله إلى ما يعتقده هو، لا إلى ما يدلّ عليه القرآن، فاحذروها، وإذا لم تتمكنوا من هذا

---

857. العثيمين. 1436هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة الزخرف)*. ص. 235.

858. العثيمين. 2003م. *تفسير القرآن الكريم (جزء عم)*. ص.148- 149.

859. القرآن. البروج 85: 21- 22.

860. القرآن. الفرقان 25: 32.

861. العثيمين. 2003م. *تفسير القرآن الكريم (جزء عم)*. ص. 235.

فاسألوا أهل العلم حتى تستفيدوا من القرآن الكريم"[862]، وذلك عند تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾[863]. واختتام التنزيل بالنصح والإرشاد يُعين على تدبّر الآية والعمل بها.

7- **ضرب أمثلة من الواقع:** تميّز تنزيل ابن باديس بضرب الأمثلة من الواقع التي تعين على إيصال الفكرة بأقرب طريق، وأخذ العبرة، واستقرار الموضوع في الذهن، ومن تلك الأمثلة ما ذكره عند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ٨٢﴾[864] فقد ذكر أهمية الاستشفاء بالقرآن، ثم قال: "فهذه الأمم الغربية بسجونها، ومشانقها، ومحاكمها، وقوتها، قد امتلأت بالجنايات والفظائع المنكرة التي تقشعر منها الأبدان، وهذه الممالك الإسلامية التي تقيم الحدود القرآنية كالمملكة الحجازية، والمملكة اليمانية قد ضرب الأمن رواقه عليهما، واستقرت السكينة فيهما دون سجون ولا مشانق، مثل أولئك؛ وما ذلك إلاّ لأنهم داووا الملك بدواء القرآن فكان الشفاء التام"، أما منهج ابن عثيمين فإنه لا يختلف عن ابن باديس؛ فقد ضرب الأمثلة كذلك من الواقع، فعند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ٤﴾[865]، قال: "وشاهد هذا الواقع؛ لما كانت الأمة الإسلامية متمسكة بالإسلام كان في العلو والظهور، وملكت به مشارق الأرض ومغاربها، ولما تقاعست وتخاذلت وتنازعت وتباغضت صار الأمر بالعكس، صار لها الذل،

---

862. العثيمين. 1436هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة الزخرف)*. ص.20.

863. القرآن. ص 38: 29.

864. القرآن. الإسراء 17: 82.

865. القرآن. الزخرف 43: 4.

فالآن أمة العرب يدعون اليهود إلى السلم، ويكررون ذلك، ويمدون أيديهم إلى دول النصارى لتساعدهم على السلم؛ لأننا لم نتمسك بالقرآن، فكنا أذلة نتوسل لأعدائنا أن يقع السلم بيننا وبين أعدائنا"[866]. وضرب الأمثال فيه إعمال للعقل، وتحفيز للذهن، وتقريب للمعنى.

المطلب الثاني: الأمور البارزة في منهج ابن باديس

1- **التلميح**: مثل تلميحه عن غلاة الصوفية الذين ينكرون التداوي بالأدوية المادية، فعرّض بهم دون تصريح، فقال: "وأفرط آخرون: فأهملوا الدواء المادي، وزهّدوا الناس فيه وتزيّدوا في جانب المأثور، حتى خرجوا عنه، واتخذوا لهم من ذلك حرفة وموردا للمعاش"[867]، وهذا التلميح يكثر ذكره في تنزيل الآيات بسبب ظروف عصره التي سبق ذكرها.

2- **التحفيز على تطبيق الآية**: استخدم ابن باديس طريقة التحفيز والتشجيع على تطبيق ما جاء في الآية بعد تنزيلها؛ وذلك بذكر ما يترتّب على العمل بها من أجر وثواب، مما يعطي القارئ أو المستمع همّة للعمل بالتنزيل، وهذا منهج مهم في تحقيق الغرض من تنزيل الآيات، مثال ذلك: عند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ٣٢﴾[868] ذكر تنزيل الآية على الواقع[869] ثم حفّز الناس على استماع القرآن وتفهمه، وملازمة ذلك حتى يصير عادة وملكة، وسيعود

---

[866]. العثيمين. 1436هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة الزخرف)*. ص. 45- 46.

[867]. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص. 146.

[868]. القرآن. الفرقان 25: 32.

[869]. انظر ص 114 من هذا البحث

ذلك بالخير الجزيل، والفضل العظيم من الله ﷻ[870]، وعند مقارنة ذلك بابن عثيمين تبيّن أنه قد نحى هذا المنحى في جوانب أخرى، ذُكرت في مباحث سابقة.

المطلب الثالث: الأمور البارزة في منهج ابن عثيمين

1- **صراحة العبارة في تنزيل الآيات؛** فقد اشتمل تنزيله توجيه النصح إلى ولاة الأمور بلهجة حازمة وصريحة، مثل قوله: "ونوجّه الدعوة على وجه أوكد إلى ولاة أمورها أن يتمسّكوا بالقرآن العظيم، وأن لا يغرهم البهرج المزخرف الذي يرد من الأمم الكافرة التي تضع القوانين المخالفة للشريعة، المخالفة للعدل، المخالفة لإصلاح الخلق، أن يضعوها موضع التنفيذ، ثم ينبذوا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وراء ظهورهم"[871]، وذلك عند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾[872]، ولم أجد مثل هذا التصريح عند ابن باديس؛ ولعل السبب يرجع إلى ظروف عصره التي سبق ذكرها.

2- **التعليم بسرد القصص الواقعية:** فقد ذكر موقفًا شخصيًا له عند تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ٦﴾[873]، علّق على موضوع الوقف والابتداء أثناء قراءة القرآن، ثم قال: "ونحن تعلمنا هذا من شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ﵀ كان يقوم بنا في رمضان التراويح والقيام، ويقف المواقف اللائقة، فتتعجب كيف هذا؟ وكنا قبل

---

870. المرجع السابق. ص. 235.

871. العثيمين. 2003م. *تفسير القرآن الكريم (جزء عم)*. ص.148- 149.

872. القرآن. البروج 85: 21- 22.

873. القرآن. القمر 54: 6.

ذلك نقرأ القرآن مرسلًا ولا نلتفت للمعنى"[874]، وهذا نادر في منهجه.

3- **استشهاده بالشعر**؛ فقد استشهد بهذا البيت من الشعر:

وحافظ على درس القران فإنه يلين قلبا قاسيا مثل جلمد[875]

وذلك عند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾[876]، وهذا نادر جدًا عنده، ولم أقف على مثل ذلك عند ابن باديس.

4- **إيراد سؤال والإجابة عنه**؛ وذلك لدفع التوهّم ولزيادة الإيضاح، فيقول: فلو قال قائل كذا وكذا، ثم يجيب، مثال ذلك: عندما نزّل قول الله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾[877]، توقّع أن يتساءل أحد عن سبب ذل المسلمين اليوم، فقال: "فلو قال لنا قائل: نحن أمة القرآن ومع ذلك فالناس في ذل! قلنا: لأننا لم نتمسك بالقرآن، ولو تمسكنا بالقرآن لضمِنّا لأنفسنا العلو والغلبة والظهور، لكن الأمر بالعكس، فالآن غالب المسلمين يلهثون وراء الدنيا، معرضين عن الدين"[878]، وهذه العبارة وردت كثيرًا في تفسيره، في حين أنني لم أجد مثلها في تفسير ابن باديس.

---

874. العثيمين. 1433هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة الأنعام)*. ص.47.

875. ابن مفلح. د. ت. الآداب الشرعية والمنح المرعية. ج.3. ص.950.

876. القرآن. الحشر 59: 21.

877. القرآن. الزخرف 43: 4.

878. العثيمين. 1436هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة الزخرف)*. ص. 45- 46.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المبحث الخامس

منهج ابن باديس وابن عثيمين في تنزيل الآيات على الواقع في مجال طلب العلم

بعد قراءة تنزيل ابن باديس وابن عثيمين للآيات على الواقع في طلب العلم تبيّن أنّ منهجيهما يلتقي في أمور ويبرز كل منهما في أمور أخرى، وبيان ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: نقاط الاتفاق

1- **الاهتمام بطلب العلم:** فقد كان مضمون تنزيل الآيات على الواقع في طلب العلم يدلّ على اهتمامهما بهذا الجانب، فقد عُنيا به عناية فائقة؛ ومن مظاهر هذه العناية ما قاله ابن باديس في حث المؤمن على حضور مجالس العلم التي تذكره بآيات الله، وأحاديث رسوله ﷺ التي يصحح بها عقيدته، ويزكّي نفسه، وتطبيق ما تعلمه، ومجاهدة نفسه على تطبيقه، والمداومة على ذلك، فيكون قدوة لغيره في جميع أحواله[879]، واتفق معه ابن عثيمين في هذا الجانب فرغّب الناس فيه، وحثهم عليه، ومما قال في ذلك: "فأنتم – إن شاء الله تعالى- تحرصون على طلب العلم، لا تظنوا أنكم في نزهة إلا نزهة واحدة وهي نزهة العلوم؛ لأنّ العلوم فيها من كل فاكهة زوجان؛ هذا فقه، وهذا حديث، وهذا تفسير، وهذا توحيد، وهذا نحو، وما شاء الله ثمرات متنوعة، فليكن نزهتكم هذا العلم"[880].

2- **الاستدلال بالسنة النبوية؛** سواء السنة القولية أو الفعلية، فقد حذّر ابن باديس طالب العلم

---

[879]. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص. 240.

[880]. العثيمين. 1436هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة الأحزاب)*. ص. 392- 393.

من أن يقف الشخص عن طلب العلم ما دام فيه زمن من الحياة، وأن يقتدي بالنبي ﷺ حيث ظلّ يطلب من الله تعالى أن يزيده علمًا، بما يلقيه في قلبه من نور، وما يوفقه إليه تقوى الله، والعمل بما علمه[881]، كما استدلّ ابن عثيمين بحديث رسول الله ﷺ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ»[882]، على الصبر في طلب العلم حتى يدرك الطالب مناله.

المطلب الثاني: الأمور البارزة في منهج ابن باديس

1- **استخدامه لأسلوب التعليل**؛ فقد كان ابن باديس يبيّن الغرض من طلب العلم، والباعث عليه، ومن ذلك ما قاله في الترغيب في طلب العلم: "فعلى كل مؤمن أن يسلك هذا السلوك، فيحضر مجالس العلم التي تذكره بآيات الله، وأحاديث رسوله ما يصحح عقيدته، ويزكّي نفسه، ويقوّم عمله"[883]، وقوله عند تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٦﴾[884]، وفيه ترغيب لنا في التبحّر في العلم، والتعمق في البحث؛ حتى نطّلع على أسرار آيات الكون، وآيات القرآن؛ فنزداد علمًا، ويزداد الدين حجة وبرهانًا، وبالتالي يعظم شكرنا لله المنعم سبحانه[885].

واستخدام أسلوب التعليل يحفّز القارئ على التطبيق؛ "لأنّ النفوس أكثر استعدادًا لتقبل الأخبار أو التكاليف المعلّلة المقرونة ببيان أسبابها وأدلتها، ممّا لو قُدّمت لها الأخبار أو التكاليف مجرّدة من

---

881. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص. 343- 345.

882. مسلم. د. ت. *صحيح مسلم*. كتاب القدر. باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله. ج.4. ص. 2052. رقم الحديث: 2664.

883. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص. 240.

884. القرآن. الفرقان 25: 6.

885. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص. 160- 161.

ذلك"[886].

وهذا الأسلوب ذكره ابن باديس كثيرًا في تنزيله للآيات في طلب العلم، وفاق ابن عثيمين في هذا الجانب.

2- **التفصيل والتقسيم المنهجي**؛ فبعد تفسيره للآية الأولى من سورة يس ذكر تطبيقات عمليّة في كيفيّة عمل الإنسان، وقسّمها تقسيمًا منهجيًا مفصّلًا[887]، مما يؤدي إلى زيادة التركيز عند القارئ، ووضوح النقاط المذكورة.

وهذا التقسيم والترتيب يكثر عند ابن باديس مقارنة بابن عثيمين؛ وقد سبق ذكر ذلك، فابن باديس كتب كتابه بعناية، بينما ابن عثيمين كان تفسيره عبارة عن تفريغ لدروس صوتية ألقاها لطلابه، ولا شكّ أنّ هناك فرقًا في ذلك، وهذا لا ينقص من قدر ابن عثيمين ومكانته العلمية.

3- **الترغيب في العلوم الكونية إلى جانب العلوم الشرعية**، فعند تفسير ابن باديس لقول الله ﷻ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ ١٦﴾[888] أشار إلى أنّ الله ذكر ذلك "تشويقًا لنا إلى ما في هذا الكون من عوالم الجماد، وعوالم الأحياء"[889]، وقال معللًا ذلك: "قد دعانا الله إلى العلم ورغبنا فيه في غير ما آية، وأعلمنا أنه خلق لنا ما في السموات وما في الأرض جميعًا، وأمرنا بالنظر فيما خلقه لنا وأعلمنا هنا أنّ هذه المخلوقات أسرار بينها القرآن واشتمل عليها، وكان ذلك

---

886. الميداني. عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة. 1996. *البلاغة العربية*. دمشق: دار القلم. ج.2. ص.94.

887. انظر: ص.133-134 من هذا البحث.

888. القرآن. النمل 27: 16.

889. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص. 259.

من حجته العلمية على الخلق فكان في هذا ترغيب لنا في التقصي في العلم والتعمق في البحث؛ لنطلع على كل ما نستطيع الاطلاع عليه من تلك الأسرار: أسرار آيات الأكوان والعمران، وآيات القرآن؛ فنزداد علمًا وعرفانًا، ونزيد الدين حجة وبرهانًا، ونجني من هذا الكون جلائل ودقائق النعم، فيعظم شكرنا للرب الكريم المنعم"[890].

وعند المقارنة بين ابن باديس وابن عثيمين يُدرك القارئ اهتمامًا واضحًا عند ابن باديس في علوم الكون، بينما لا يوجد مثل ذلك عند ابن عثيمين في هذا المجال؛ لأنّ ابن باديس كان يريد أن يبني العقلية العلمية بالنسبة للإنسان المسلم، وذلك بالتدبر في السنن الكونية التي تحكم تطوّر المجتمعات، والتي كثرت الإشارة إليها في آيات القرآن الكريم[891].

المطلب الثالث: الأمور البارزة في منهج ابن عثيمين

1- **التصريح بالواقع؛** فكان كثيرًا ما يبدأ بعرض المشكلة، فيصف ما يقع في المجتمع من أخطاء ثم ينزل الآية على ذلك الواقع، ففي مجال طلب العلم ذكر أنّ هناك فئة من الناس سئموا الحياة السابقة، ورغبوا في التغيير، ويُخشى عليهم التغيير إلى شيء سيئ، ولذلك حثّ طلبة العلم على تعليمهم وتذكيرهم[892].

ومنهج ابن باديس لا يختلف كثيرًا عن ابن عثيمين في ذلك، فابن باديس يصرّح بما يقع في مجتمعه، غير أنّ ذلك غير موجود في مجال طلب العلم.

2- **الحديث عن تجربة شخصية؛** فعندما كان ابن عثيمين يتحدّث عن طلب العلم بيّن لطلابه أنّ

---

890. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص.160-161.

891. دراجي. محمد.2000. السنن الكونية في تفسير ابن باديس. *مجلة كلية أصول الدين -الصراط-*. الجزائر: جامعة الجزائر. عدد (2). مارس. ص.20.

892. العثيمين. 1436هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة الأحزاب)*. ص.163.

طلب العلم يحتاج إلى تعب، وقد يكون شاقًا في بداية الأمر، لكنّ طالب العلم إذا اعتاد حبس نفسه على ذلك صار طبيعة له وسجيّة، ثم ذكر تجربته في ذلك[893]، وذِكْر المفسّر لتجربته الشخصية وخبرته في الحياة يحفّز القارئ على التطبيق، وقليلًا ما يلتقي ابن باديس مع ابن عثيمين في هذا الجانب.

3- **الاستطراد في تفصيل بعض النقاط**؛ فقد كتب ابن عثيمين أكثر من خمسة وعشرين صفحة عند تفسير قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠﴾[894]، فنزل هذه الآية على الواقع تنزيلًا مفصّلًا ذكر فيه الأحكام الفقهية، وختمه بقوله: "لتعلموا أنّ العلم ليس بالأمر الهيّن؛ العلم يحتاج إلى تعب"[895]، لكن التفصيل والإسهاب الذي ذكره لا يعدّ من قبيل الحشو؛ بل هو مما له علاقة وطيدة بمعنى الآية.

ومقارنة بابن باديس فإنه يطيل أحيانًا إذا اقتضى الأمر ذلك، وقد سبق ذكره في المبحث السابق.

---

893. المرجع السابق. ص. 392.

894. القرآن. الأحزاب 33: 50.

895. العثيمين. 1436هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة الأحزاب)*. ص. 392.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المبحث السادس

مقارنة بين منهج ابن باديس وابن عثيمين في تنزيل الآيات على الواقع في مجال الزهد والرقائق

عند المقارنة بين منهجي ابن باديس وابن عثيمين في تنزيل الآيات على الواقع في الزهد والرقائق، تبيّن أنّهما التقيا في أمور، وبرز كل منهما في أمور، وبيانها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: نقاط الاتفاق

1- **اهتمام كل منهما بتزكية النفس التي هي مقصد هام من مقاصد القرآن**، فقد اشتمل تنزيلهما على التحذير من بعض المحرمات، مثل: التحذير من المعاصي، والإعراض عن اللغو، والتنبيه من الغفلة والتعلق بالدنيا، والحث على الطاعات، مثل: اغتنام العمر في طاعة الله، والإكثار من الذكر، والمبادرة بالعمل الصالح. ولا شك أنّ تزكية النفوس من مقاصد الإسلام، قال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ﴾[896]، وتزكية النفس لا يقتصر أثرها على الفرد فقط؛ بل على جميع أفراد المجتمع، وخلوّ نفوس أبناء الأمة الإسلامية من مظاهر التزكية يُعدّ خطرًا عظيمًا عليهم، وعلى مجتمعهم؛ فتزكية النفس هي السبيل الأول للنصر والتمكين، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي

---

[896]. القرآن. آل عمران3: 164.

لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾[897]. فوعد من قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، يكونون هم الخلفاء فيها، وأن يمكّن دين الإسلام، الذي ارتضاه لهذه الأمة، لفضلها وشرفها، بأن يتمكنوا من إقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين[898].

المطلب الثاني: الأمور البارزة في منهج ابن باديس

1- **استشهاده بقول الغزالي في الحرص على اغتنام الوقت**، وعدم ضياع الأعمار[899]؛ واستشهاده بكلام الغزالي في هذا الجانب مناسب؛ لما عُرف به الغزالي من الزهد، ولأنه يلتقي معه في منهجه الإصلاحي المتفرد من خلال تشخيصه لأمراض المجتمع، ووضع منهاج للتربية والتعليم، وبناء العقيدة الإسلامية، ومحاربة التيارات الفكرية المنحرفة[900]، ولم يتطرق ابن عثيمين إلى مثل هذا الاستشهاد.

2- **بيان النتائج المترتبة على تطبيق الآية**، وهذا المنهج يُكثر منه ابن باديس مقارنة بابن عثيمين، ففي مجال الزهد والرقائق ظَهَرَت عددًا من الآيات التي ذكر فيها النتيجة المترتبة على القيام بالعمل، سواء كان عملًا صالحًا أو العكس، وسأكتفي بذكر نموذجٍ واحدٍ؛ وهو: عند تنزيله

---

[897]. القرآن. النور 24: 55.

[898]. السعدي. 2000. *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*. ص.573.

[899]. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص.192.

[900]. الصلابي. علي. 7 يوليو 2019. أبو حامد الغزالي حجة الإسلام ونابغة الاعلام في ذاك الزمان. مدوّنات. شبكة الجزيرة الإعلامية. https://www. aljazeera. net/blogs.

لقول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢﴾[901]، حيث بيّن للناس أنّ في إقبالهم على اللغو شغلًا للبال، وتضييعًا للوقت، وتكديرًا للخاطر بظلمته، وكل كلمة يسمعها الإنسان، يشهد أثرها في حياته وإن قلّ، وقد يتبعها مثلها فتنمو وتسوء عاقبتها ولو بعد حين، وبقدر ما يتساهل المرء بالوقوف على اللغو يقرب من الدخول فيه، وإذا دخل فيه واستأنس بأهله جره ذلك إلى الزور، وهكذا يجرّه من ذنب إلى ذنب آخر[902].

المطلب الثالث: الأمور البارزة في منهج ابن عثيمين

1- **وضع منهج عملي لتطبيق الآية؛** مثل نصيحته لمن استولت على قلبه الغفلة بأن يتذكر اليوم الذي يُحشر فيه ليس لديه مال ولا بنون، ولا أحد يُدافع عنه؛ فإنّ هذا مما يُعين على العمل[903].

وقد وُجِد مثل هذا المنهج العملي للتطبيق عند ابن باديس وسبق ذكره في المباحث السابقة، لكن لم يُعثر عليه في مجال الزهد والرقائق.

2- **المبالغة في وصف الواقع أحيانًا، فقد وصف ابن عثيمين حال الشباب في عصره؛** عند تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾[904]، بأنّ الكثير منهم أُغرِق بالملاهي بأنواعها، وكأنهم خُلقوا لهذا اللهو، لا يتكلمون إلا به، وبمتابعة من فاز فيه ومن لم يفُز، حتى نسوا يوم الحساب[905]. ويبدو أنّ

---

[901]. القرآن. الفرقان 25: 72.

[902]. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص. 232-233.

[903]. العثيمين. 1437هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة فصلت)*. ص.48.

[904]. القرآن. ص 38: 26.

[905]. العثيمين. 1425هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة ص)*. ص. 129.

هذا الوصف فيه نوع من المبالغة، فنسيان يوم الحساب يقتضي أن يترك الإنسان أداء العبادات كالصلاة والصيام وغير ذلك، ولكن المعروف عند كثير من أصحاب هذه المجالس تأدية العبادات، مثل الصلاة والصيام، والقليل منهم ربما نسي يوم الحساب.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

المبحث السابع

منهج ابن باديس وابن عثيمين في تنزيل الآيات على الواقع في مجال القضايا الاجتماعية

بعد ذكر تنزيل الآيات على الواقع لابن باديس وابن عثيمين في القضايا الاجتماعية، اتضح أنهما يتفقان في بعض الأمور، ويبرز كل منهما في أمور، وبيان ذلك كما يأتي:

المطلب الأول: نقاط الاتفاق

1- **توظيف آيات القرآن في حل مشاكل المجتمع**؛ فلا يخلو عصر من العصور من حدوث مشاكل وأمراض في أبنائه، وكلاهما كان فقيهًا بواقعه، يوظّف آيات القرآن في علاج ما يقع فيه؛ لشموليته وصلاحه لكل زمان ومكان.

2- **وصف الواقع**؛ فكلاهما يصف الواقع قبل تنزيل الآية، ففي مجال القضايا الاجتماعية ذكر ابن باديس ما كان يقع في مجتمعه من إسراف في المناسبات التي كانت تُقام تقديسًا لشيوخ الصوفية، ويكون فيها من البذخ والإسراف الذي يؤدي إلى التقتير من بعدها[906]، وكذلك ابن عثيمين كان يصف واقعه لكنه يبالغ أحيانًا في ذلك، ففي مجال القضايا الاجتماعية ذكر أنواع المجالس التي تُقام في المجتمع، وذكر أنّ بعض هذه المجالس ربما أسّسها أصحابها للصدّ عن دين الله، فيكون ضررها أكثر من نفعها، وبعضها يريد أصحابها الاجتماع فيها للتسلي فقط، وليس لهم معنىً وراء ذلك[907]، وهذا فيه نوع من المبالغة فقد يقوم بعض أصحاب هذه المجالس ببعض

---

[906]. انظر: ص153 من هذا البحث.

[907]. العثيمين. 1436هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة الفرقان)*. ص.317-320.

المعاصي، لكنها لم تؤسّس للصد عن سبيل الله في الغالب.

3- **توجيه النصح والإرشاد بعد التنزيل للآية**؛ فقد وجّه ابن باديس نصيحة لشيوخ الطرائق الصوفية بعد تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾[908]، وتتضمن سؤال شيوخ الصوفية للذين يأتونهم بالأموال عن حالهم؛ ليطّلعوا على فقرهم وبؤسهم، فترقّ لهم قلوبهم، ويُرجعوا لهم ما دفعوه لهم[909]، ووجّه ابن عثيمين نصيحة للذين يفرّطون بحقّ زوجاتهم بتقوى الله ﷻ، وامتثال أمر نبيه ﷺ في الوصية بذلك[910].

المطلب الثاني: الأمور البارزة في منهج ابن باديس

1- **تحقيق مبدأ التكافل بين أفراد المجتمع**؛ فبعد ذكره لقصة النملة مع سليمان عليه السلام ذكر أنه لا حياة للشخص إلا بحياة قومه، ولا نجاة له إلا بنجاتهم، ويجب عليه أن يحرص عليهم كما يحرص على نفسه، ويهتمّ بهم كما يهتم بنفسه[911]، ومنهجه هذا موافق لحديث النبي ﷺ «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[912]، وغيره من الأحاديث في هذا الجانب، ولعلّ السبب في تعقيبه على الآية بذلك: دعوة قومه إلى الوحدة الاجتماعية، والشعور بالانتماء، والحرص على التكافل والترابط؛ حتى يقفوا يدًا واحدة ضد الاستعمار الفرنسي.

---

908. القرآن. الفرقان 25: 67.

909. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص.218.

910. العثيمين. 2003م. *تفسير القرآن الكريم (جزء عم)*. ص. 94.

911. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص. 262- 263.

912. البخاري. 1422هـ. *صحيح البخاري*. كتاب الإيمان. باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. ج.1. ص.12. رقم الحديث: 13، مسلم. *صحيح مسلم*. كتاب الإيمان. باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير. ج1. ص 67. رقم الحديث: 45.

2- **الدعاء مع الأخذ بالأسباب**، فبعد تفسيره لقول الله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾[913]، ذكر أنّ سؤال العبد ربه أن يهب له زوجة صالحة يقتضي سعيه لتحصيل ذلك؛ ليقوم بالسببين المشروعين من السعي والدعاء[914]، وهذا المنهج يدلّ على سلامة العقيدة، فالأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله ﷻ؛ بل هو مما أمر به الشرع، وقد سار ابن عثيمين على نفس المنهج، وسبق ذكره في تنزيل الآيات على الواقع في جانب العقيدة[915].

3- **الدعوة إلى العمل الجماعي**؛ وهذا ما أكّد عليه ابن باديس عند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٢﴾[916]، فأشار إلى أهمية الاجتماع ومناقشة مصالح المسلمين والعمل ضمن جماعة منظمة، تفكّر وتدبّر، وتتشاور وتتآزر، وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة، وبيّن أهمية الاجتماع ونظامه، ولزوم الحرص عليه، واعتبر ذلك أصلًا لازمًا للقيام بمقتضيات الإيمان وحفظ عمود الإسلام[917].

---

[913]. القرآن. الفرقان 25: 74.

[914]. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص. 238.

[915]. انظر: ص.176 من هذا البحث.

[916]. القرآن. النور 24: 62.

[917]. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص.335.

ودعوة ابن باديس إلى العمل الجماعي نابع من إيمانه بأهميته، فقد كان يسعى لذلك؛ حيث أسس جمعية العلماء المسلمين، وتشكيل الجمعيات الدينية التي تنشر محاسن الإسلام، وتعلم الناس أمور الدين والعبادة مظهر من مظاهر العمل الجماعي[918]، وكان ابن باديس يعترف لهم بالفضل والوقوف بجانبه، ومما قال في ذلك: "إذا كنت أستمد القوة والحياة فإنما أستمدهما ممن أَولوني شرف الثقة والإخلاص لديني ولأمتي، وأخص منهم الأسود الكبار، وهم إخواني الأقوياء من رجال العلم الذين أجدني مهما وقفت موقفًا إلا وجدتهم معي كالأسود"[919].

المطلب الثالث: الأمور البارزة في منهج ابن عثيمين

1- **استخدامه للنقل والعقل في إقناع المخالف للآية؛** حيث نقل موقف الصحابة ﷺ من الاجتهاد المؤدي إلى اختلاف الآراء، واستشهد بموقفهم في عدم تفرق قلوبهم، وذلك عند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾[920]، فاستخدم أسلوب الإقناع العقلي؛ فأشار إلى أنّ الإنسان العاقل إذا خالفه أخوه في رأيه بمقتضى الدليل عنده يكون ذلك أدعى إلى قوة المحبة له؛ لأنه لم يتساهل معه في ذات الله، بل قدّم محبة الله عليه، فلا تزيده تلك المخالفة المبنيّة على الاجتهاد إلا محبة لأخيه وتمسّكًا به[921].

وهذا الأسلوب يعين على العمل بالآية؛ وقد استخدمه رسول الله ﷺ في إنكار المنكر؛ وذلك عندما كان يُقنع صحابيًا بتحريم الزنا فقال له: " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ "قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: وَلَا

---

918. زيدان. عبد الكريم. 2001. *أصول الدعوة*. بيروت: مؤسسة الرسالة. ص.464.

919. طالبي. 1968. *آثار ابن باديس*. ج.2. ص.144.

920. القرآن. آل عمران 3: 103.

921. طالبي. 1968. *آثار ابن باديس*. ج.2. ص.602.

النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ. قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ إلى آخر الحديث[922].

واستخدمه ابن باديس في تنزيله أيضًا، وقد سبق ذكر ذلك في المبحث الثاني من هذا الفصل.

2- **استخدام ابن عثيمين لقاعدة (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)**، وقد أكثر من ذلك في تنزيله للآيات على الواقع، وفي مجال القضايا الاجتماعية نزّل قول الله ﷻ: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣﴾[923]، على الزوج الذي يريد من زوجته أن تعطيه حقه كاملًا، ولا تتهاون في شيء من حقه، لكنه عند أداء حقها يتهاون ولا يعطيها الذي لها[924]، في حين أنّ استخدام ابن باديس لنفس القاعدة كان محدودًا.

---

922. ابن حنبل. 2001. *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. تتمة مسند الأنصار. حديث أبي أمامة الباهلي الصدي بن عجلان بن عمرو. ج.36. ص. 545. رقم الحديث: 22211. وهو حديث صحيح صحح إسناده الأرناؤط في تخريجه للمسند. ط الرسالة. رقم الجزء: 36. ص 645. رقم الحديث: 22211.

923. القرآن. المطففين 83: 1-3.

924. العثيمين. 2003م. تفسير القرآن الكريم (جزء عم). ص. 94.

المبحث الثامن

منهج ابن باديس وابن عثيمين في تنزيل الآيات على الواقع في مجال القضايا السياسية

عند المقارنة بين منهجي ابن باديس وابن عثيمين في تنزيل الآيات على الواقع في مجال القضايا السياسية، تبيّن أنّهما التقيا في أمور، وبرز كل منهما في أمور، وبيانها في المطالب الآتية:

المطلب الأول: نقاط الاتفاق

1- **الاستشهاد بالسنة؛** فقد استشهد ابن باديس بمعنى الحديث مع عدم ذكره؛ فبعد ذكره لقصة سليمان عليه السلام مع الهدهد قال: "وهذا التفقّد والتعرّف هو على كل راع في الأمم والجماعات، والأُسر والرفاق وكل من كانت له رعية"[925]، وهذا مستنبط من حديث النبي ﷺ «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[926]، واستدل ابن عثيمين بقول النبي ﷺ «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً»[927]، وذلك عند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ٢٣﴾[928]، واستدل بالسنة الفعلية كذلك عند تنزيله لقول

---

925. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص.266- 267.

926. البخاري. 1422هـ. *صحيح البخاري*. كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس. باب العبد راعٍ في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه. ج.3. ص.120. رقم الحديث: 2409، مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر، ج 3، ص 1458، رقم الحديث: 1829.

927. البخاري. 1422هـ. *صحيح البخاري*. كتاب المغازي. باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر. ج.6. ص.8. رقم الحديث: 4425.

928. القرآن. النمل 27: 23.

الله ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[929]، فاستدلّ بعمل النبي ﷺ على عدم تكوينه مجلسًا خاصًا للشورى، وكان يستشير أبا بكر وعمر ﷺ ولكنه لم يكن يستشيرهما في كل شيء، بل كان يستشير بقية الصحابة عمومًا[930].

المطلب الثاني: الأمور البارزة في منهج ابن باديس

1- **بيانه لأسس الحكم الرشيد؛** حيث ذكر عند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾[931]، أنّ العدل هو أساس الملك، ولابدّ من إقامته لبقاء الدولة، ولتحقيق النصر[932]، وذكر أيضًا أهمية النظام وانضباط الجنود، فالنظام أساس كل مجتمع واجتماع، والقوة والكثرة لا تغنيان بدون نظام[933]، وذلك عند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[934]، وقد جمع ابن باديس بين العلم الشرعي والرؤية السياسية، فأحدث نهضة في مجتمعه مستفيدًا من آيات القرآن الكريم في ذلك، فتصوُّر الحكم عنده كان مستمدًا من الإسلام، وقد كتب في تفسيره: "فالهيئة الحاكمة، والأفراد المنظمون، والقادة المسيرون، من ضروريات المجتمع

---

929. القرآن. آل عمران 3: 159.

930. العثيمين. 1426هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران)*. ج.2. ص.370- 371.

931. القرآن. النمل 27: 21.

932. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص.231.

933. انظر: المرجع نفسه. ص.260.

934. القرآن. النمل 27: 17.

الإنساني، ومقررات الشرع الإسلامي"[935]، والمتأمل في تنزيله للآيات السابقة يرى اهتمامه بالركن الأساسي للحكم وهو الحاكم؛ حيث بين أهمية صلاحه وعدله، وهذا ما قررته نصوص الشريعة الإسلامية، ومنها قول الله ﷻ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾[936]، والعدل في المنظور الإسلامي حقائق واقعية منضبطة، تقوم على معايير دقيقة حاسمة؛ لكي تخلق مجتمعًا يسوده الأمن والسلام مع النفس أولًا، لينسحب بعد ذلك على كل المؤسسات المجتمعية الأخرى في دولة الإسلام[937].

وقد اهتم ابن باديس بالسياسة والحكم[938] رغم أنه كان يعيش في دولة غير مستقلة؛ بل هي مستعمرة من دولة غير مسلمة، لكن ذلك لم يمنعه من الكتابة عن السياسة، وكان يرى أنّ الشعب الجزائري شعب مظلوم، وهذا الظلم سيؤدي يومًا ما إلى انفجاره، وأخذ حقوقه بالقوة، وهذا التفكير جعله ينزل الآية السابقة على الواقع وهو واثق بنصر الله ﷻ، ساعيًا إلى تحقيقه باتخاذ جميع أسبابه. بينما كان واقع ابن عثيمين على العكس من ذلك؛ ولذلك لم يذكر في تفسيره تعليقًا على الآيات المتعلقة بملك سليمان عليه السلام؛ ربما لأنّه كان يعيش في فترة أمن واستقرار.

2- **تأييده لأسلوب الشدة في نظام الجندية**؛ فعند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ

---

[935]. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص.261.

[936]. القرآن. النساء 4: 58.

[937]. خليفة. عبد الرحمن. 1990. *في علم السياسة الإسلامي*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. ص.186.

[938]. كُتبت في ذلك عدد من الأبحاث، منها: الفكر السياسي عند الشيخ ابن باديس، للباحث مسعود جباري، وجهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر، لعبد الرشيد زورقة، عبد الحميد بن باديس حياته ودوره السياسي والثقافي، للدكتور حازم مجيد الدوري، وكتاب: عبد الحميد بن باديس لمحات من حياته وأعماله وجوانب من فكره وجهاده، للدكتور مسعود فلوسي، وغيره.

لَأُعَذِّبَنَّهُۥ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾[939]، علّق على تهديد سليمان عليه السلام للهدهد لغيابه ومفارقته الصف، واعتبر ذلك أصلًا في صرامة أحكام الجندية وشدتها؛ لما لها من أهمية عظيمة، ولأنّ سلامة الجميع تتوقف على قيامها بها، وعظم الخطر الذي يعم الجميع إذا أخلت بها. وقال معلّقًا على خطأ الهدهد: "جرم الهدهد صغير، وما كلف إلّا بما يستطيعه من الوقوف في مكانه والبقاء في مركزه، ولكن جرمه بإخلاله بهذا الواجب كان جرمًا كبيرًا؛ فإنّ الخلل الصغير مجلبة للخلل الكبير، فقدرت عقوبته على حسب كبر ذنبه لا على حسب صغر ذاته"[940].

ومغادرة الوحدة العسكرية من دون إذن أو سبب مشروع تعدّ جريمة يحق للقائد أن يعاقب عليها[941]، وينبغي على القائد المخلص في قيادته لدولته أن يكون حازمًا وصارمًا في مخالفة السياسة ولوائح التنظيم؛ فالصرامة والحزم من السمات المهمة القيادية للقائد في إدارة شعبه؛ لكي يقضي على أيّ صورة من صور التلاعب، ولأنّ حزمه يُصلح الخطأ، ويُصحح المسير، وتكون عبرة للجنود في الالتزام بعملهم، فيتمّ السير لتحقيق الأهداف بعزم ووضوح.

ولم أجد مثل هذا التنزيل عند ابن عثيمين برغم تفسيره لهذه الآية، واهتمامه بالأمور السياسية.

3- **استخدامه لقاعدة العبرة بعموم اللفظ؛** فعند تنزيله لقوله سبحانه: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ

---

939. القرآن. النمل 27: -20- 21.

940. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص.269.

941. براهيمي. باهية، وخويلد. شيماء. 2018. *قانون القضاء العسكري وقانون العقوبات العام*. (بحث ماجستير). الجزائر: جامعة قاصدي مرباح ورقلة. ص.9.

مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[942]، ذكر أنّ هذه الآية بقيت على الدهر تذكّرنا بأنّ النظام أساس كل المجتمعات، وأنّ الكثرة والقوة لا تغنيان بدون نظام، ولابدّ للنظام من رجال أهْل لذلك[943].

وسبق ذكْر استخدام ابن عثيمين لهذه القاعدة في المباحث السابقة.

4- **توجيه النصيحة بعد التنزيل**؛ فبعد تنزيله لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِبَعۡضِ شَأۡنِهِمۡ فَأۡذَن لِّمَن شِئۡتَ مِنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٦٢﴾﴾[944]، وجّه نصيحة إلى العلماء بالعمل بهذه الآية؛ وبثّ روح الشورى والاجتماع في المسلمين، في كل الأمور التي تهمهم؛ لكيلا يطغى عليهم ظالم، ولا يتخلف منهم متقاعس، ولكي يتبين لهم مَن يؤيدهم ممن يخذلهم، فيستغنون عن كل خاذل[945].

وهو بهذه النصيحة يبيّن أهمية الشورى، ويدعو إلى العمل بها؛ لأنّ الاستبداد كان هو الغالب في عصره، وهو يرى أنّ التفرّد بالرأي ليس من مبادئ الإسلام، فقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالشورى فقال: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ﴾[946]، وامتثل رسول الله ﷺ أمر ربه؛ فاستشار أصحابه في أكثر من موطن، مثل

---

[942]. القرآن. النمل 27: 17.

[943]. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص.260.

[944]. القرآن. النور 24: 62.

[945]. ابن باديس. 1995م. *تفسير ابن باديس*. ص. 353- 336.

[946]. القرآن. آل عمران 3: 159.

استشارته للصحابة في غزوة أحد في الخروج أو البقاء، [947] واستشارتهم في غزوة الخندق[948]، وغير ذلك.

والتشاور في الأمر مظنة لتحقيق المصالح العامة في الدولة؛ ودرء المفاسد عنها، وهذا ما أشار إليه عند تنزيل الآية، وهو بذلك يجدد النظام الإسلامي الذي يدعو إلى التشاور؛ لأنه السبيل الوحيد لحل الأزمة التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك.

وعند مقارنة ما قاله ابن باديس في الشورى نجد أنّ ابن عثيمين دعا إليها أيضًا عند تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[949]، لكنّه لم يدعُ إليها بنفس اللهجة التي دعا إليها ابن باديس؛ فعصره يختلف تمامًا من الناحية السياسية، حيث كان يوجد مجلسٌ للشورى[950]، فأشار في تنزيله للآية إلى كيفية تطبيقها، كما طبقها رسول الله ﷺ[951].

المطلب الثالث: الأمور البارزة في منهج ابن عثيمين

1- **الرد على المخالفين**؛ بعد تنزيله لقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[952]، بيّن أهمية طاعة ولي الأمر حتى فيما يتعلّق بإدارة شؤون الدولة، وردّ على من خالفه في ذلك، وسماهم بالمتمردين، وكان منهجه في الرد عليهم بيان عموم الآية، ووجوب امتثالها، معلّلًا ذلك بأنّ المصلحة العامّة لا ترتبط بآراء الناس؛ لأنّ أهواءهم مختلفة،

---

947. ابن هشام. 1955. *السيرة النبوية لابن هشام*. ج.2. ص.63.

948. ابن القيم. 1994. *زاد المعاد في هدي خير العباد*. ج.3. 242.

949. القرآن. آل عمران 3: 159.

950. السماري. فهد بن عبد الله والجهيمي. ناصر بن محمد. 1422هـ. *المملكة العربية السعودية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود*. ص.59- 62.

951. انظر: ص.246 من هذا البحث.

952. القرآن. النساء 4: 59.

فالرأي لولي الأمر قبل كل شيء، ثم مَن رأى مصلحة في غيره فليعرضها عليه من باب النصيحة[953].

وطاعة ولي الأمر عند ابن عثيمين واجبة على الإطلاق إلا إذا أمر بمعصية، ويؤيّد ذلك حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: «أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»[954].

وكان ابن عثيمين يهتم بذكر طاعة ولي الأمر[955]، في حين أنّي لم أجد الحديث عن ذلك عند ابن باديس بسبب ظروف بلاده التي كانت مُستعمرة من دولة غير مسلمة، وكان يسعى جاهدًا إلى استقلالها، وإصلاح ما أفسده الاستعمار في أرض الجزائر.

2- **التعليل**: كثيرًا ما كان يذكر السبب عند تنزيل الآيات، مثل تنزيله لقوله ﷻ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[956]، فذكر أنّ النبي ﷺ لم يكوّن مجلسًا للشورى يرجع إليه؛ لأنه إذا كُوِّن مجلس يُرجَع إليه ربما يبقى هذا المجلس دائمًا مع تغيّر أحوال أهله، ومع وجود أناس جُدد خير منهم[957].

---

[953]. العثيمين. 1435هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة النساء)*. ج.1. ص.453.

[954]. البخاري. 1422هـ. *صحيح البخاري*. كتاب الفتن. باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورا تنكرونها». ج.9. ص.47. رقم الحديث: 7055، مسلم. د. ت. كتاب الإمارة. باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية. ج.3. ص. 1470. رقم الحديث: 42.

[955]. انظر: ص: 250 من هذا البحث.

[956]. القرآن. آل عمران 3: 159.

[957]. العثيمين. 1426هـ. *تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران)*. ج.2. ص.370- 371.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث المتعلق بالمقارنة بين منهج ابن باديس وابن عثيمين في تنزيل الآيات على الواقع خلصت إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولًا: النتائج

1- لتنزيل الآيات على الواقع أهمية عظيمة؛ منها: توثيق علاقة المسلمين بكتاب ربهم، وتوضيح كيفية العمل بالقرآن وتدبره، وبيان تنوّع الموضوعات التي وردت في القرآن، والتي تلامس واقع كافة المجتمعات، وهذا التنزيل يستلزم ضوابط معيّنة يجب على المفسر تحصيلها؛ حتى لا يقع في التحريف، منها: صحة الاعتقاد، والعلم الشرعي، وحسن النية وصحة المقصد، والفقه بالواقع، ومراعاة أحوال الفترة التي نزل فيها النص القرآني، وجميعها تحققت في ابن باديس وابن عثيمين.

2- على المفسر الذي ينزل الآيات على الواقع أن يفرّق بين الثوابت والمتغيرات؛ فالأحكام الثابتة لا تقبل الاجتهاد ولا تتغير بتغير الزمان والمكان، وعليه أن يتصور النازلة وأن يعرف حقيقتها من كل النواحي؛ ليكون التنزيل عليها صحيحًا.

3- قد يكون تنزيل الآيات على الواقع صريحًا يصرّح فيه المفسّر بما يقع في عصره، أو غير صريح؛ فيذكر ما يقع في عصره على وجه التعريض والتلميح، وقد يكون أيضًا لكل الآية فيسمّى كليًّا، أو لجزء منها فيسمّى جزئيًّا.

4- ارتبطت مسألة تنزيل الآيات على الواقع ببعض قواعد التفسير؛ كقاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب) وقاعدة: (مراعاة السياق القرآني للآية).

5- عاش ابن باديس في فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر، وتدهور بلاده من الناحية السياسية، والدينية والثقافية، والناحية الاقتصادية والاجتماعية، بينما اختلف ابن عثيمين عنه في ذلك؛ وقد ظهر أثر ذلك في تنزيلهما للآيات على الواقع.

6- اتفق ابن باديس وابن عثيمين في النظرة الإصلاحية من خلال آيات القرآن، وإن كانت ظروف عصرهما مختلفة.

7- تنوعت مجالات تنزيل الآيات على الواقع عند ابن باديس وابن عثيمين، فشملت: جانب العقيدة، والدعوة، وطلب العلم، وتدبر القرآن، والأخلاق، والرقائق، والمجال الاجتماعي، والسياسي.

8- اتفق منهجا ابن باديس وابن عثيمين في تنزيل الآيات على الواقع في كثير من الأمور، واختلف في بعضها، فمن الأمور التي اتفقا عليها: معرفتهما بواقعهما، وما يقع فيه من مستجدات، وتوظيفهما لآيات القرآن الكريم في معالجة أمراض المجتمع.

9- التزم كل منهما بضوابط تنزيل الآيات على الواقع في تفسيرهما، فكان تنزيلهما للآيات القرآنية تنزيلًا صحيحًا، من غير تكلّف، ولا ليّ لأعناق النصوص، مع وضوح العبارة وسهولتها، وتصريحهما بحال المجتمع، وعرض المشكلة قبل تنزيل الآية، واستخدامهما للتنزيل العكسي للآية، إذا كان ما يحدث في واقعهما يخالف ما جاء فيها، واستشهادهما بالقرآن الكريم، والسنة القولية والفعلية على تنزيل الآية.

10- حرص كل منهما على ضرب الأمثلة من الواقع لزيادة الإيضاح في التنزيل، وعلى استخدام أسلوب التعليل، والإقناع العقلي، وكانا يفصلان عند تنزيل بعض الآيات عندما يقتضي ذلك، وقد بيّن كل منهما كيفية تطبيق الآية، ووضعا منهجًا للعمل بها، وعرضا النتائج والآثار المترتبة

على العمل بالآية، ولم يُغفلا جانب النصح والإرشاد بعد تنزيل الآية.

11- تميّز تنزيل ابن باديس للآيات بالتنظيم والتقسيم المنهجي، وكتابة العناوين التي تدلّ على العمل بالآية، مقارنة بابن عثيمين الذي كان تفسيره تفريغًا لدروس صوتية، وقد أكثر ابن باديس من التلميح، أو التنزيل غير المباشر للآية؛ لظروف عصره التي لا تسمح بالتصريح أحيانًا، ولاقتصار تفسيره على عدد قليل من السور، بينما لم يظهر ذلك عند ابن عثيمين، واهتم ابن باديس بمحاربة البدع في تنزيل الآيات؛ لكثرة انتشارها في عصره، بينما لم أجد مثل هذا الاهتمام عند ابن عثيمين، لاختلاف مجتمعه، وقد حثّ ابن باديس على العمل الجماعي ورغّب فيه، ولم أجد مثل هذا الترغيب عند ابن عثيمين.

12- دعا ابن باديس إلى معرفة العلوم الكونية في تنزيله للآيات، في حين لم أجد مثل ذلك عند ابن عثيمين، وحضّ ابن باديس على تحقيق مبدأ التكافل بين أفراد المجتمع عند تنزيل الآيات، وهذا يعكس ظروف العصر الذي عاش فيه، بينما لم يظهر ذلك في تنزيل ابن عثيمين للآيات.

13- بيّن ابن باديس أسس الحكم الرشيد، وأيّد استخدام الشدة في نظام الجنود، ولعلّ تركيزه على ذلك تمهيدًا لاستقلال دولته من الاستعمار، وقد ظهر على تنزيل ابن عثيمين أسلوب الشدة في الردّ على المخالفين، واستخدام النقل والعقل في الرد عليهم، واهتمّ بطاعة ولي الأمر في تنزيله للآيات، بينما لم أجد في تنزيل ابن باديس أي حديث عنه؛ لاختلاف ظروف مجتمعهما.

14- ذكر ابن عثيمين عند تنزيل الآيات بعض المواقف الشخصية التي حدثت له، ولم يذكر ابن باديس أي موقف شخصيّ له، وكان ابن عثيمين يورد سؤالًا بعد تفسير الآية ثم يجيب عنه؛ حتى يزول الإشكال عند القارئ ويتّضح له كيفية العمل بالآية، ولم يكن هذا عند ابن باديس، وقد استشهد ابن عثيمين ببعض الأبيات الشعرية على تنزيله للآيات، ولم أجد أي استشهاد

للشعر عند ابن باديس.

ثانيًا: التوصيات

1- أوصي علماء التفسير بالتجديد في كتابة التفسير؛ بحيث يتضمن تنزيلًا للآيات القرآنية على مستجدات العصر الحديث.

2- وأوصي الباحثين في مجال التفسير بإبراز جهود المفسرين الذين عنوا بتنزيل الآيات على الواقع، وكتابة الأبحاث العلمية في تفاسيرهم.

3- كما أوصي الدعاة إلى الله والخطباء بالاستفادة من الآيات التي نزلها ابن باديس وابن عثيمين في تفسيريهما؛ فقد جاءت صحيحة موافقة لضوابط التنزيل.

4- وأخيرًا أوصي وزارة التعليم باقتباس مادة علمية من هذا البحث وتضمينها في المناهج الدراسية؛ حتى يتعرف الطلاب على كيفية العمل بالقرآن في كل زمان ومكان.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA